امتحان السداسي الثاني، السنة الأولى ماستر (أدب قديم)

الإجابة النموذجية عن السؤال الأول:

لقد اتجهت البحوث النقدية المعاصرة إلى خلق معادلة أدبية جديدة تمثلت في علاقة القارئ بالنص الإبداعي، هذا القارئ الذي لم يكن له دور فعال في النظريات الأدبية التقليدية، فكان التركيز معظمه منصبا على النص كأساس لكل التحليلات الأدبية، فالدلالة موجودة بالنص.. والجماليات موجودة بالنص... وعلى القارئ أن يضع يده على هذه الأمور، ومن لم يستطع فإن ثقافته النقدية غير صحيحة أو غير مؤهلة ... بل توصف قراءته النقدية بالخاطئة.

ومن الباحثين الذين كان لهم باع كبير الباحث الألماني «ولفغانغ إيزر» في كتابه "فعل القراءة، نظرية الأثر الجمالي"، وكان دفاعه عن القارئ بطريقة جادة وبتحليلات فائقة، حيث جعله شريكا أساسيا في العملية الأدبية باعتبار القراءة شرط رئيسي وضروري في تفسير وتأويل النص. وقد لخص «ولفغانغ إيزر» رؤيته للقارئ والنص فيما يلي: "نستطيع القول أن العمل الأدبي له قطبين: القطب الفني يتعلق بالنص الذي أنتجه الكاتب، بينما القطب الجمالي يتعلق بالتحقق على مستوى القارئ...إن موقع العمل الأدبي هو النقطة التي يلتقي فيها النص والقارئ"، ويؤكد «ولفغانغ إيزر» أن القراءة هي التي عبرها يحدث التفاعل الأساسي لكل عملية أدبية، إذ يقول: "إنه أثناء القراءة يحدث التفاعل الأساسي لكل عمل أدبي بين بنائه والمرسل إليه".

وينطلق «ولفغانغ إيزر» من أن المعنى ليس موجودا في النص وليس سابقا على وجود القارئ له، وهذا التحقيق هو الذي يقوم بإخراج المعنى إلى حالة التجسيد، فالمعنى يبنى بمشاركة القارئ بغض النظر عن موقفه أكان بالقبول أو الرفض، وبداية وجود المعنى هي نقطة الالتقاء بين النص والقارئ ويسميها أيزر بالموقع الافتراضي.

ويرى الباحث «حميد لحمداني» في تحليله لهذه العلاقة التفاعلية، هو أن «ولفغانغ إيزر» ينطلق من أن النص لا يقوم على مبدأ الامتلاك بالمعاني، وإنما من مبدأ الفراغ لأن النص إذا كان ممتلئا بالمعاني فما على القارئ أن يسلم بذلك. ولهذا فالتواصل هو أن يتعامل القارئ مع النص بفكره ورصيده المعرفي، ويقوم بملأ الفراغات الكثيرة.

ومن المصطلحات التي تعرض لها «ولفغانغ إيزر» "سجل النص"، وهذا السجل تكون فيه الإحالة إلى النصوص السابقة، تاريخية واجتماعية وثقافية، ويتم في هذه الحالة انتخاب عناصر دلالية معينة على حساب عناصر أخرى تتعرض للإقصاء، "وهكذا يتضح أن علاقة النص بمرجعيته تتأسس عبر صيرورة معقدة، وأن المعنى بالتالي لا يتقدم جاهزا، وإنما يتحدد من خلال تلك الصيرورة التي تلعب فيها القراءة دورا أساسيا".

الإجابة النموذجية عن السؤال الثاني:

تعدُّ الأسلوبية أحد المناهج المتخصصة في دراسة ونقد الأدب، ولكنها منهج غير مستقل؛ إذ إنَّها متأثرة بشكل واضح بالعديد من الدراسات الأخرى التي تُعنى بالنصوص الأدبية. تعمل الأسلوبيّة على دراسة خصائص أسلوب النصوص والمجازات الموجودة فيها، والصور الشعرية والإيقاعات وما إلى هنالك من أصوات وأجناس ولغة شعرية، فهي تدرس بنية النص وجماليته وتأثيره في المتلقي. إضافة إلى ذلك فهي تعمل على دراسة ما في النص من أمثال وحكم وغموض وتوظيف للأساطير، لذلك فهي ترتبط بشكل كبير بالأبحاث التي كان يقوم بها علم البلاغة في اللغة العربية قديمًا، وقد تأثر منهج الأسلوبية بسعي النقد لأن يصبح علمًا مستقلًا بذاته له الضوابط المعرفية الخاصة به، وبالتطوُّر النقدي بمختلف مراحله. آليات التحليل الأسلوبي للخطاب تعمل الأسلوبية على تحليل النص عادةً وفق ثلاثة مستويات وهي: اللفظ والتركيب والدلالة، في سعيها للكشف عن بنى الخطاب العميقة، كما تقوم إجراءات ثلاثة وهي كما يأتي: التركيب تُعنى الأسلوبية بدراسة التركيب داخل الخطاب، وتحاول أن تنبش عميقًا في الأبعاد الدلالية الخاصة بالتركيب وتركز على البعد الوظيفي فيه، مثل: التأخير والتقديم والذكر والحذف والتنكير والتعريف، ولذلك فإنَّ ريفاتير وهو أحد أبرز الباحثين في دراسات الأسلوبية الحديثة يُركّز على الخطاب على اعتباره تركيبًا جماليًّا للعديد من الوحدات اللغوية. يجب البحث في النص بكليته وليس إلى أحد العناصر التي يتكون منها، وعلى هذا يدور رأي جاكسون بأنَّ الشعرية هي نتيجة توافق بين عملية الاختيار وعملية التأليف، اختيار المفردات من المعجم اللغوي، من ثمَّ تأليفها وفق أية فكرة أو رسالة تقوم على هذين المحورين الأساسيين لتشكيل النص. الانزياح يعبِّر الانزياح عن الخروج أو العدول عن المألوف في استخدام اللغة في مختلف مستوياتها سواء الصوتية أم الأسلوبية أم التركيبية أم البلاغية، وقد اعتبرت الأسلوبية أن الانزياح حدثٌ أسلوبيّ ولا بدَّ من التركيز عليه خلال البحث الأسلوبي، ولكن الخلاف هنا وقع في المعيار الذي سيكتشف ويحدد الانزياح أو العدول في استخدام اللغة. تعدَّدت الآراء حول ذلك، فذهب بعض النقاد إلى أنَّ المعيار لكشف الانزياح هو اللغة السائدة والمعيارية، أو الواقعية أو الكفاءة، وبالتالي فإنَّ انفصال الوحدات اللغوية عن النمط السائد يعدُّ انزياحًا، وبعضهم يرى الانزياح من وجهة نظر القارئ واعتياده على نمط معين من اللغة عند سماع الخطاب. الاختيار يشير هذا الإجراء في الأسلوبية إلى القصد أو الوعي داخل النص، وهو ما ينفي فكرة الإبهام أو العفوية التي تدعيها بعض المذاهب والتيارات الأدبية، وإنَّ منهج الأسلوبية بحد ذاته اختيار، حيثُ إنَّ الاختيار يظهر عندما يقوم كاتب النص أو الخطاب باستبدال لفظ أو تركيب داخل النص يعتقد أنَّه أصدق في التعبير عن الفكرة التي يكتب عنها. لذلك؛ توجد عدة صور للاختيار حسب مختلف مستويات اللغة، فعلى مستوى اللفظ يتم استبدال لفظ بآخر، وعلى مستوى التراكيب يتمُّ تفضيل أسلوب نحوي على أسلوب آخر يتفقان في الوصول إلى المعنى ذاته، وعلى مستوى الدلالة يتم تفضيل صورة على صورة أخرى يراها الكاتب مناسبة أكثر للتعبير عن فكرته.